التي تنزع عن العملية طابعها الديمقراطي، الذي يجعل منها مدخلاً الى تطبيق صيغة الحكم الذاتي الذي رفضه الفلسطينيون قبل عشر سنوات، وهم غير معنيّين بقبوله حالياً، وفي ظل ظروف تبدو فيها الحركة الوطنية الفلسطينية في ذروة تقدمها على غير صعيد، محلياً واقليمياً ودولياً.

يفهم من الحركة السياسية الفلسطينية الراهنة انها وضعت في جوهر عملية تصديها لمقترحات شامير الابتعاد من ممارسة الرفض المطلق في صورته العدمية، والتزام جانب الرفض الايجابي بوضع الشروط المضادة التي من شأنها ان تحوّل العملية برمّتها الى مواجهة وطنية مع الاحتلال، فلا تبدو م.ت.ف. عائقاً أمام تقدّم عملية السلام، وهو هدف تسعى اليه كل من تل ـ أبيب وواشنطن، اللتان تدفعان بكرة شامير الى الملعب الفلسطيني، بعد ان فشلت الادارة الاميركية، خلال جولتي الحوار السابقتين مع م.ت.ف. في حشرها في خانة «الارهاب»، وبعد نجاح م.ت.ف. في اجتياز حاجز الاعتراض الأول الذي وضعته واشنطن على طريقها، دون ان تقدم تنازلاً، او تدفع ثمناً. كما نجحت في افهام الطرفين الآخرين، اميركا واسرائيل، ان لا مساومة على الانتفاضة، ودفعت وزير الخارجية، جيمس بيكر، الى التصريح تلميحاً، وعلانية، الى امكان اجراء الانتخابات من دون وقف الانتفاضة. هذه القضايا، مجتمعة، تجعلنا نميل الى الاعتقاد بأن المعركة المقبلة مع اسرائيل لن تتمحور في رفض، أو قبول، الانتخابات. فمن المستبعد تماماً ان تعلن م.ت.ف. موافقتها؛ كما انها لم تعلن رفضها من دون وضعه في اطار شروطها الوطنية، وهذه سمة المعركة الراهنة التي قد تتواصل شهوراً، ويبدو خلالها الطرف الاسرائيلي هو الاضعف الذي تعوزه مفاتيح اللعبة السياسية، حتى وان امتلك المبادرة في لحظة عابرة أوجدتها الحركة السياسية الاميركية وما خلّفته من مناخات معيّنة. فاسرائيل لا تملك القدرة على ايقاف الانتفاضة، مثلما لا تملك أية قدرة على اجبار الفلسطينيين على الدخول في عملية سياسية لا يرغبون فيها، ولديهم انتفاضتهم التي تمثّل اداة الرفض الحادّة التي يصعب على الاحتلال مواجهتها والقضاء عليها، او اضعافها، على الرغم من مرور أكثر من ١٦ شهراً. وهي، أخيراً، لا تملك الوسيلة لتهيئة اجواء «تفاهم» مع أي من الشخصيات الفلسطينية الوطنية حول افكار شامير وملحقاتها.

وسط كل هذه التقديرات، تتواصل المعركة السياسية التي يتوقع ان تدخلها عناصر جديدة، خصوصاً بعد لقاء بيكر ـ شيفاردنادزه المتوقع، وزيارة الرئيس الفلسطيني لفرنسا، ممّا قد يعدّل في بعض خطوط المعركة باضافة عوامل أخرى، تغذّي بالذخيرة السياسية هجوم السلام الفلسطيني، الذي يتابع، بنجاح، تطويق المواقف الاسرائيلية، لدفنها في رمال الاحتلال قبل ان تصل شوارع الانتفاضة.